الخبر السار

وكعادتهما بعد كل حدث يمران به، يجلس الباشا ولاظ بك يشربان القهوة، ويتحدثان معًا أو يتحدث الباشا وينصت لاظ بك، ويقول الباشا:

– حسنًا يا لاظ بك، لم يعد لدينا أي عذر بعد الآن نرسله للباب العالي؛ كي نؤجل الحرب في الحجاز..

– ألنا مصالح في هذه الحرب يا أفندينا أم إنها مجرد تنفيذ لأوامر السلطان؟ وعفوًا يا سيدي، فأنا لا أفهم طبيعة ما يحدث هناك، وماذا تكون هذه الدعوة المسماة بالوهابية؟

– ستفهم كل شيء في حينه يا لاظ، ولكن يمكنك أن تعرف الآن على الأقل أنها فرصة للتخلص من هؤلاء الجنود غير النظاميين، وإبعادهم وتوفير الوقت لتأسيس قوة نظامية جديدة.

– ولكن يا أفندينا ستحتاج هذه الحرب لكثير من الأموال، ولقد فشل الباب العالي في جميع محاولاته لاحتواء هذه الحركة المسماة بالوهابية!

– هذا ما سيسعدني بالتأكيد يا لاظ، أن ننجح في ما فشلت فيه الدولة، أما عن الأموال، فقد حان الوقت لمصادرة جميع الأراضي الزراعية لتصبح جميعها ملكًا لنا نحن فقط.

– ألن تحدث ذلك أي اضطرابات يا أفندينا؟

وضحك الباشا كعادته من أسئلة لاظ الساذجة والمحببة له في الوقت نفسه ويقول:

- من الذي سيقود هذه الاضطرابات يا لاظ؟ زعماء الشعب الذين تم حرق جميع أوراقهم؟ أم رءوس المماليك المعلقة على أبواب القاهرة؟

ويضيف الباشا:

- لقد حان الوقت أيضًا لحضور عائلتنا من قولة ليستقروا بمصر معنا.

- إنه خبر سعيد يا أفندينا..

- وسوف تكون يا لاظ أكثر سعادة عندما تعلم أننا سنزوجك كريمتنا نازلي هانم..

ويقع الخبر كالصاعقة على لاظ بك، ويرتبك ولا يدري ماذا يقول، ثم يتمالك نفسه ويهمس بالكاد:

- إنه شرف عظيم يا سيدي العزيز..

وهكذا أصبح عزيز مصر هو المالك الوحيد لجميع الأراضي، والتاجر الوحيد الذي يبيع محاصيلها، ونظرًا لسيطرة بريطانيا على البحر المتوسط سيطرة كاملة، فستكون هي الزبون الوحيد تقريبًا الذي يمكنه شراء القمح المصري، وعندما يعاتبه صديقه القنصل الفرنسي دروفيتي يقول له:

- إن الإنجليز يحتاجون للقمح ويشترونه منا، وإذا منعته عنهم فسيحصلون عليه بالقوة، وهو ما لا أتمنى حدوثه..

ويسافر طوسون باشا على رأس الجيش إلى الحجاز، ولكن بدون احتفال هذه المرة.